

دور الإعلام في تعزيز الاستقرار السياسي

(ورقة قُدمت في مؤتمر "دور الإعلام في تعزيز الاستقرار السياسي" (الخرطوم: مركز دراسات وأبحاث القرن الأفريقي، ١١ - ١٢/١/٢٠٢٣)

البروفيسر/ عبده مختار

قسم العلوم السياسية/ ج أم درمان الإسلامية

drmukhtar60@gmail.com

المستخلص:

تناقش هذه الورقة قضية علاقة الإعلام بالاستقرار السياسي من خلال التأثير القوي للإعلام في تشكيل الرأي العام وفي كل مسارات الحياة لا سيما في عصر تكنولوجيا المعلومات. تحاول الورقة الإجابة عن سؤال محوري هو: كيف يستطيع الإعلام تعزيز الاستقرار السياسي؟. ويرى أن ذلك يمكن أن يتم من خلال معالجة الإعلام للعوامل التي تتسبب في عدم الاستقرار مثل: خطاب الكراهية، الغلو والتطرف، والنعرات القبلية. وأن يتم ذلك من خلال تدعيم العوامل التي تؤدي إلى الاستقرار السياسي مثل: نشر قيم التسامح، عقلنة الخطاب السياسي، نشر ثقافة السلام والتعايش السلمي. وتشرح الورقة كيفية عمل ميكانيزمات الإعلام في معالجة مشكلات عدم الاستقرار وذلك من خلال تعامل الإعلام إيجابياً مع عملية التأثير على جهاز الإدراك، وتشكيل الصورة الذهنية - فضلاً عن تشكيل الثقافة السياسية وترشيد السلوك السياسي.

الكلمات المفتاحية: الإعلام، الاستقرار السياسي، خطاب الكراهية، الصورة الذهنية، ثقافة السلام، قيم التسامح والتعايش السلمي.

Abstract

This paper tries to examine the nature of the relationship between mass media and political stability vis-à-vis the powerful influence of the media on public opinion and all walks of life – particularly in today's highly sophisticated communications and the technologically advanced media. The paper discusses a central question: How do mass media reinforce political stability? It believes that media could achieve that by addressing such destabilizing factors as: the discourse of hatred, fanaticism, extremism, racism and tribalism. On the other hand that could also be realized by media efforts in disseminating the values of tolerance, the culture of peace and boosting peaceful coexistence. The paper explains how do the media mechanisms work in tackling the

problem of instability – notably through the positive impacting on perception and, hence, framing the image to shape proper political culture and sound behavior. However, the effective and positive role of the media in reinforcing political stability presupposes a functioning under a 'democratic system'.

تمهيد:

في عصر تكنولوجيا العولمة الحالي أصبح الإعلام - بكل تقنياته وجبروته وتأثيره غير المحدود في العقول والسلوك - من أقوى أشكال القوة الناعمة (soft power). وهو "سلاح" يستطيع أن يؤثر سلباً أو إيجاباً بحسب استخدام السلطة له أو من يملكون المعلومات والاتصال. وقد تضاعف تأثير الإعلام بصورة مخيفة في عصر العولمة حتى أن البعض أطلق على العولمة بأنها "معلوماتية" "info-finance" - أي تمشي على ساقين (المال والمعلومات أو السوق/الاقتصاد والإعلام). بمعنى أنه عندما تلتحم قوة الإعلام بالقدرات المالية يصبح كل شيء تحت السيطرة لتلك "الجهة". وقد فطن اليهود منذ أكثر من قرن إلى أهمية الإعلام وقوة تأثيره في كافة مجالات الحياة؛ لذلك كان الإعلام محور استراتيجيتهم في مشروعهم الصهيوني. وتبعاً لذلك فإن اليهود الذين لا يمثلون إلا حوالي ٣% إلا أنهم سيطروا على أكثر من ٣٠% من وسائل المؤسسات الإعلامية والصحفية في الولايات المتحدة الأمريكية. وهي بالطبع أقوى وسائل الإعلام في أمريكا وعلى مستوى العالم.

وقد اهتمت الدول الكبرى بالإعلام في الداخل والخارج - في مجال العلاقات العامة في العلاقات الدولية بما يحقق رسم صورة إيجابية عن شخصية الدولة لتعزيز مركزها في المجتمع الدولي وما يستتبع ذلك من تأثير سياسي ودبلوماسي يعززها وزنها الدولي ويزيد من قوة تأثيرها على سلوك ومواقف الدول الأخرى في السياسة الدولية - من خلال التأثير على توجهاتها في السياسة الخارجية بصورة عامة.

ولا شك في أن تأثير الإعلام قد تضاعف أكثر في عصر الانترنت والفضائيات ووسائل التواصل الاجتماعي بأشكالها المختلفة. وفي كثير من الدول المضطربة أو غير المستقرة سياسياً ظهرت كثير من المواقع التي تعمل على صناعة الشائعات والتأثير السلبي على الرأي العام وهذا يؤدي إلى توتر اجتماعي بما يحدثه من بلبلة فكرية وتشويش وتضليل وانقسام الرأي العام حول القضايا الكبرى بفعل ذلك التأثير التضليلي والمشوش للحقائق. وربما يستخدم البعض هذه الوسائل

- التي ليس لها ضابط ولا عليها تحكم - في إثارة الفتن مثل النزعات القبلية والصراعات الإثنية ونحو ذلك.

المقدمة النظرية والمفاهيمية

تقوم هذه الورقة على فرضية فحواها "أن للإعلام تأثير قوي على الاستقرار السياسي - سلباً وإيجاباً". وهذا يعني أن الإعلام سلاح ذو حدين، يمكن توظيفه إيجابياً لتحقيق أو تدعيم الاستقرار السياسي؛ أو استغلاله سلبياً في خلق التوتر والنزعات بما ينسف الاستقرار - أي يؤدي إلى عدم الاستقرار السياسي.

ومن خلال منهج وصفي/تحليلي تناقش الورقة سؤال محوري هو: كيف يستطيع الإعلام تعزيز الاستقرار السياسي؟

مفاهيمياً تستخدم الورقة عدد من المفاهيم في التحليل كأدوات تفسيرية: مثل "الاستقرار السياسي"، خطاب الكراهية (discourse of hatred)، جهاز الإدراك (perception)، الصورة الذهنية (image)،¹ التضليل (misinformation)، التعتيم (mystification)، حجب المعلومات (disinformation)، الفتنة (sedition)، والرأي العام (public opinion).

عندما تُحجَب المعلومات ويتم تضليل الرأي العام ويُعتم على الحقائق فإن ذلك سوف يؤدي إلى انتشار الشائعات ويتولد عنها حالة من التوتر (tension)، وربما تشتعل الفتن من خلال الاتهامات والاتهامات المضادة بين مكونات المجتمع بسبب خبر غير صحيح ناتج عن شائعة "مصنوعة" بعناية وبدعاية إعلامية مكثفة (intensive propaganda). وفي التحليل النهائي يكون الناتج

¹ An analytical technique of 'framing' was developed by social psychologists (Goffman, 1974; Entman, 1991; Gitlin, 1980) to study and explain the role of the news media in defining issues for the public. Several studies suggested that the concept of 'framing' is now more or less established as a field in mass communication studies. Eltmann argued in an often quoted, relatively recent definition of framing, "is to select some aspects of a perceived reality and make them more salient in a communication text, in such a way as to promote a particular problem definition, casual interpretation, moral evaluation, and/or treatment recommendation for the item described". Images change constantly with experience (p. 226). Boulding (1969) describes various factors that play an important role in the formulation of national image in international system...The national image is essentially a *historical image*-that is an image which extends through time, backward into a supposedly recorded or perhaps mythological past and forward into an imagined future. The more conscious a people is of its history, the stronger the national image is likely to be. For further details see: *Canadian Journal of Media Studies*, Vol. 2(1), pp. 132 - 136.

مناخ سياسي مضطرب. وربما يمتد الأمر إلى فقدان الثقة في القيادة السياسية لأن حالة عدم اليقين (uncertainty) وغياب المعلومات الصحيحة وعدم توافر المصداقية في الخطاب الإعلامي وضعف/عدم مصداقية الخطاب السياسي تدفع الناس لأن يتجهوا إلى مصادر أخرى للمعلومات ويقعون فريسة للشائعات. وهذا يزيد الأمر بلبلة وتشويشاً لا سيما بعد زيادة انتشار وقوة تأثير مواقع التواصل الاجتماعي (social media) وهو تأثير غير متحكم فيه ويزيد الوضع سوءاً والرأي العام انقساماً والمجتمع اضطراباً.

رغم الاتفاق بالاجماع في كل العالم على قوة تأثير الإعلام إلا أن هنالك عدة نظريات في دراسة الإعلام من حيث كيفية توظيفه وعلاقته بالسلطة وبالحرية.

(١) **نظرية السلطة:** (The Authoritarian Theory): ظهرت في أواخر عصر النهضة بعد اختراع الطباعة مباشرة (في القرن السادس عشر) حيث كان الملك والحكام هم مصدر الحقيقة وليس الجماهير. "والخصائص التي تميز هذه النظرية ما زالت موجودة إلى يومنا هذا في بعض الدول الحديثة. وفي مجتمع السلطة تتحكم الدولة في الصحافة وتراقبها وتمارس عليها ضغوطاً لتخدم مصالح السلطة أو تتوقف عن الصدور"^٢

(٢) **نظرية الحرية:** The Libertarian Theory: بتطور الديمقراطية السياسية والحرية الدينية بدأت الجماهير ترفض نظرية السلطة، فظهرت نظرية الحرية في القرن الثامن عشر. وازدهرت في القرن التاسع عشر وقد تأثرت هذه النظرية بكتابات ديكارت وجون لوك وجون استيوارت ميل. وهي تدعو الصحافة إلى خدمة الفرد وأن تؤدي إلى التغيير وأن تنقد الحكومة وتراقب السلطة التنفيذية. وتقول النظرية إن الطريقة الوحيدة لمعرفة الحقيقة هي أن نعطي الفرصة لتلاقح الأفكار وتصارع الآراء في ميدان عام أو سوق حرة؛ وأن تتاح الفرصة لكل فرد بأن يعبر عن رأيه بحرية وأن تكون الصحافة حرة لا تتحكم فيها السلطة ولا تسيطر عليها الحكومة. وقد طبقت هذه النظرية في القرن

^٢ جيهان احمد رشدي نظم الاتصال : الإعلام في الدولة النامية، (القاهرة : دار الفكر العربي، ١٩٧٢)، ٨٨ - ٩٠؛ في: عبده مختار موسى، رؤية تأصيلية للإعلام في عصر العولمة، (الخرطوم: إدارة تأصيل المعرفة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ٢٠٠٤)، ص ٢٠.

التاسع عشر في الولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا حيث عملت الصحافة سلطة رابعة ترأب السلطة التنفيذية.^٣

(٣) نظرية المسؤولية الاجتماعية: (The Social Responsibility Theory): مفهوم سوق الأفكار الحرة في القرن العشرين اختلف اختلافاً كبيراً عن ذلك الذي ساد في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وذلك نسبة لضخامة وسائل الإعلام بسبب التطورات التكنولوجية في القرن العشرين حيث تعددت الصحف والمجلات وظهر أنه من الصعب على أي فرد أن يدخل ميدان النشر أو يدير محطة. كما أن تضخم الوحدات الإعلامية جعل ملكيتها وإدارتها تتطلب مبالغ كبيرة من المال ومن ثم أصبحت الصحافة محتكرة في أيدي الأقلية القوية والغنية. وهي أقلية صغيرة تنتمي للطبقة العليا في المجتمع ، وبذلك لم تعد تمثل الجماهير و تعكس مشكلاتها أو تعبر عن آرائها و تطلعاتها "فانعزلت الصحافة عن واقع الجماهير و انخرقت عن خدمة المصلحة العامة للمجتمع = مما دفع بعض المصلحين الاجتماعيين في الولايات المتحدة إلى التعبير عن مخاوفهم (في عام ١٩٤٧م) حيث أكدوا - من خلال لجنة شكلوها لتصحيح الواقع - بأن على رجال الإعلام أن يدركوا أن كل حرية تقابلها مسؤولية"^٤؛

(٤) النظرية السوفيتية: The Soviet Model:

وهي ترتكز على أساس النظرية الشيوعية حيث إن الإعلام جزء لا يتجزأ من جهاز الدولة الشيوعية، وفحواها أن وسائل الاتصال لا يملكها الأفراد ولكن تملكها الدولة و يديرها الحزب ووظيفة الإعلام هي "زيادة وحدة الفكر بين أعضاء المجتمع و تعليم المبادئ الماركسية و تفسير الأحداث على ضوء تلك المبادئ " ولكن حرية التعبير التي كانت متاحة في الاتحاد السوفيتي السابق كانت متاحة للذين يؤيدون النظام القائم و ليس لمناقشة المبادئ الأساسية.^٥

^٣ المرجع نفسه.

^٤ للمزيد من التفاصيل في نظريات الإعلام أنظر: دكتورة جيهان أحمد رشتي، نظم الاتصال: الإعلام في الدول النامية (القاهرة: دار الفكر

العربي، ١٩٧٢)، ص ٨٨ - ٩٠، و ص ٩١، و ص ٩٣.

^٥ المرجع نفسه

الحديث عن دور الإعلام في الاستقرار السياسي يعبر عن التداخل الكبير بين علمي السياسة والإعلام. وهو تداخل (interplay) في الواقع كما هو في العلم. من حيث الأدبيات السابقة في هذا الموضوع فقد كتبت بحوث ودراسات كثيرة في مجال علاقة السياسة بالإعلام والصحافة. فهناك - مثلاً: -

- بول فندلي، من يجرؤ على الكلام، بيروت، ١٩٨٦، وهو ترجمة للنسخة الانجليزية التي صدرت بعنوان: "Who Dares to Speak Out?"

- جيهان أحمد رشتي، الدعاية واستخدام الراديو في الحرب النفسية، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٥.

- عبده مختار موسى، "علاقة الدولة بالصحافة: الدور السياسي لمجلة سوداناو في فترة الحكم العسكري للرئيس الجنرال جعفر نميري (١٩٦٩ - ١٩٨٥)"، رسالة دكتوراة (غير منشورة) في العلوم السياسية بقسم العلوم السياسية، جامعة الخرطوم، ٢٠٠٥. (باللغة الإنجليزية).^٦

- عبده مختار موسى، "تغطية حرب الخليج في الإعلام الغربي: تحليل مضمون لمجلة النيوزويك الأمريكية، ١٩٩١" (رسالة ماجستير - باللغة الإنجليزية، قسم العلوم السياسية، جامعة الخرطوم، ١٩٩٥) (باللغة الإنجليزية).^٧

- محمد حسنين هيكل، بين الصحافة والسياسة، ط5، بيروت، ١٩٨٤.

- Albert C. Gunther, Biased Press or Biased Public, Public Opinion Quarterly, Vol. 56, No. 2, 1992.

- Daniel L. Brenner and William Rivers, Free but Regulated: Conflicting Traditions in Media Law, Iowa State University Press, 1982.

- Dennis McQuail, The Influence and Effects of Mass Media, Mass Communications and Society, London: 1977.

⁶ Abdu Mukhtar Musa, The impact of State on the Press: The Political Role of *Sudanow* Magazine Under the Rule of General Numairi, 1969 - 1985 (an unpublished Ph.D. dissertation, Department of Political Science, University of Khartoum, Khartoum, 2005).

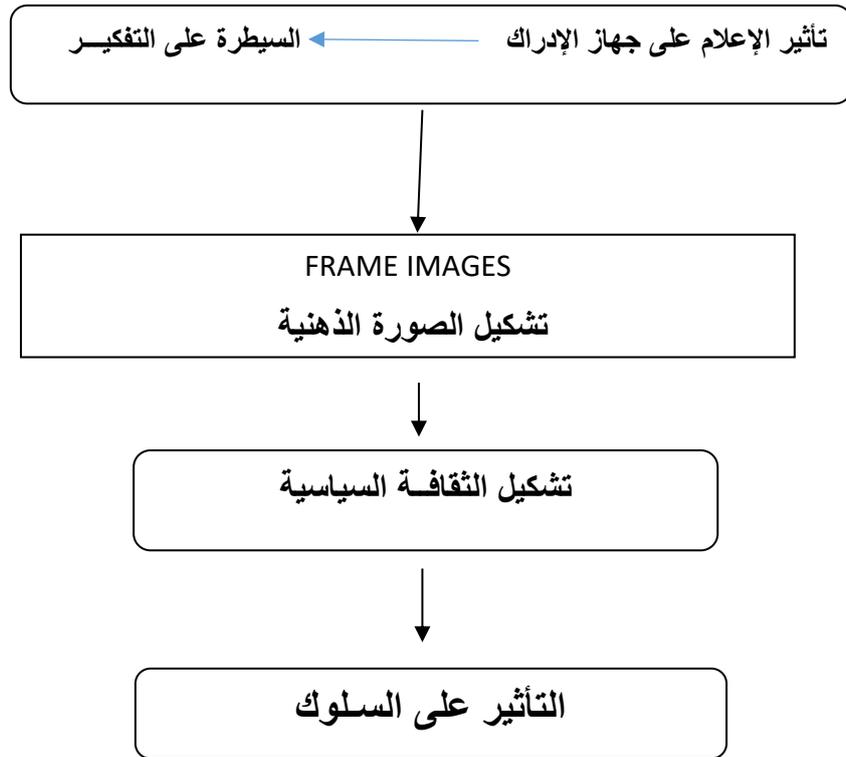
⁷ Abdu Mukhtar Musa, The Coverage of the Gulf War in the Western Media: A Survey Method on the US Newsweek - A Content Analysis Approach (A Master Thesis in Political Science, Department of Political Science, University of Khartoum, 1995).

Martin Linsky, Impact: How the Press Affects Federal Policy Making, The -
Institute of Politics at Harvard University, USA, 1986.

Michael Gurrinch and Jay G. Blumer, Linkage between the Mass Media and -
Politics: A Model for Analysis for Political Communications Systems, London, 1972.

ميكانيزمات التأثير الإعلامي:

يمكن وضع تصور في الشكل التالي لكيفية عمل تأثير الإعلام في السلوك السياسي والثقافة السياسية وتعزيز الاستقرار.

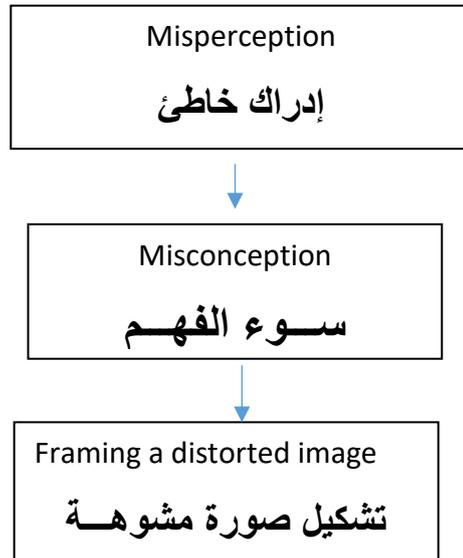


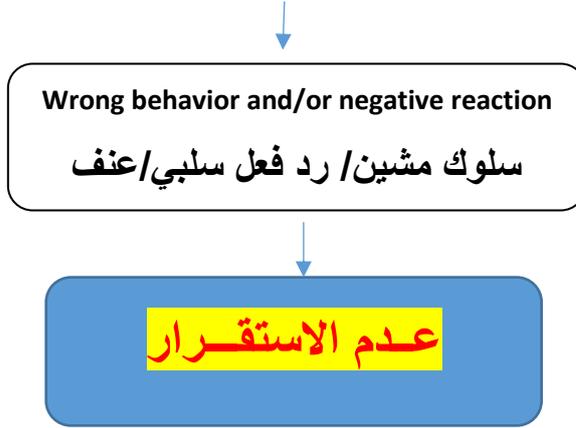
لتغيير السلوك تكون البداية بالتأثير على جهاز الإدراك الذي تبدأ فيه عملية التصورات وتشكيل الصورة الذهنية. من هنا تتشكل المواقف ثم تتشكل الثقافة السياسية. ويدخل دور الإعلام في كل المراحل - بدءاً بمرحلة التأثير على جهاز الإدراك. وهنا يركز الإعلام في التأثير على جهاز الإدراك للسيطرة على التفكير ولرسم الصورة الذهنية المرغوبة - تجاه الواقع والقضايا.

ويستمر تأثير الإعلام في المرحلة التالية (بعد تشكيل الصورة الذهنية) وهي مرحلة تشكيل الثقافة السياسية. وهذه الثقافة السياسية يسهم في بنائها الإعلام من خلال الإسهام في عملية التنشئة السياسية political socialization - بالاشتراك مع مؤسسات أخرى مثل الأسرة/الأب، المدرسة/المعلم وقادة الرأي (الدعاة، المفكرين، المثقفين، كتاب الأعمدة والمحللين وأساتذة الجامعات، إلخ). ومن خلال تشكيل الثقافة يتم التأثير على السلوك، لأن الثقافة - في التحليل النهائي - هي سلوك (culture is behavior) كما تتجلى فيها القيم والمعتقدات والمعايير والأخلاق... ومن خلال التأثير في الثقافة والسلوك يسهم الإعلام في صناعة الرأي العام، وفي المشاركة السياسية "الواعية".

بتعبير آخر، إذا أردت أن تغير السلوك (وهو محرك الفعل: مثل العنف) عليك بتغيير الثقافة؛ وإذا أردت أن تغير الثقافة عليك بالتأثير على التفكير، والإدراك والتصورات والمفاهيم. ولكي تقوم بكل ذلك عليك باستخدام الإعلام بذكاء أو توظيفه بفاعلية وإيجابية..

ومثلما للإعلام تأثير إيجابي أيضاً له تأثير سلبي. فالإدراك الخاطئ - الذي قد يتسبب فيه الإعلام من خلال التضليل، الشائعة، التعتيم، تحريف الحقائق، إلخ - يؤدي إلى فهم خاطئ للواقع أو للأحداث، الشخصيات والقضايا.. ومن سوء التصور وسوء الفهم - المصنوع بالإعلام - تتشكل صورة ذهنية زائفة أو غير صحيحة عن الواقع، القضايا، الأشخاص، الأنظمة.. إلخ. وهذا الصورة الذهنية المشوهة يمكن أن ينتج عنها رد فعل سلبي أو سلوك خاطئ أو مشين، أو ربما عنف ينسف الاستقرار.





الاستقرار السياسي:

الاستقرار السياسي في جوهره ومضمونه، "ليس وليد القوة العسكرية والأمنية، مع ضرورة ذلك في عملية الأمن والاستقرار، وإنما هو وليد تدابير سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية، تجعل من كل قوى المجتمع وفئاته عينا ساهرة على الأمن. كثيرة هي الحقائق والمعطيات الموجودة في المشهد السياسي الإقليمي والدولي التي تؤكد أن الاستقرار السياسي في الدول الحديثة اليوم، لا يمكن تحقيقه بالقمع والغطرسة وتجاهل حاجات الناس وتطلعاتهم المشروعة."^٨ فالترسانة العسكرية ليست هي وسيلة جلب الاستقرار وحفظه... فالعديد من الدول تمتلك ترسانة عسكرية ضخمة وأجهزة أمنية متطورة، وكل مظاهر القوة المادية إلا أن استقرارها السياسي هش وضعيف، ومع أي ضغط أو تحول، نجد النداعي والاهتراء والضعف. وفي المقابل نجد دولاً لا تمتلك أسلحة عسكرية ضخمة، ولا مؤسسة أمنية متطورة، إلا أن استقرارها صلب ومتين، وقادرة بإمكاناتها الذاتية من مواجهة الأزمات ومقاومة المؤامرات، وحفظ استقرارها وأمنها العام."^٩

فقوة الدول واستقرارها اليوم، لا يمكن أن تقاس بحجم الأسلحة وقوة الترسانة العسكرية أو عدد الأجهزة الأمنية، وإنما تقاس بمستوى الرضا الشعبي وبمستوى الثقة وبمستوى الحياة السياسية الداخلية، التي تفسح المجال لكل الطاقات والكفاءات للمشاركة في الحياة العامة."^{١٠}

فالاستقرار السياسي - من وحي كثير من تجارب الدول غير الديمقراطية - "لا يأتي من خلال نظام شمولي، يقمع الناس ويئد تطلعاتهم ويحارب مصالحهم الحقيقية. لذلك نجد أن الدول التي

^٨ محمد محفوظ، "في معنى الاستقرار السياسي"، مجلة الرياض، العدد (١٣٨١٩)، ٢٥/٤/٢٠٠٦، <https://www.alriyadh.com/file/266>

^٩ محمد محفوظ، المرجع السابق،

^{١٠} المرجع نفسه.

تحكم بأنظمة قمعية وشمولية، هي المهددة أكثر في أمنها واستقرارها.. فالأمن المجرد لا يفضي إلى الاستقرار، والقوة العسكرية بوحدها لا تتمكن من مواجهة تحديات المرحلة.. إن الرؤية التي ترى أن سبيل الاستقرار، هو المزيد من الإجراءات والاحترازاات والتضييق على حريات الناس، رؤية أثبتت التجربة قصورها وخطأها. فالقمع لا يصنع أمنا واستقرارا، بل يضاعف من عوامل وأسباب الانفجار السياسي والاجتماعي..^{١١}

وفي تقدير البعض أن مكونات الاستقرار السياسي في المجالين العربي والإسلامي هي:^{١٢}

١ وجود مصالحة حقيقية بين مشروع السلطة ومشروع المجتمع، بحيث ان كل طرف يقوم بدوره الطبيعي في عملية البناء والعمران. فالاستقرار السياسي لا يمكن أن يتحقق على الصعيد الواقعي بعيدا عن انسجام الخيارات السياسية والثقافية بين السلطة والمجتمع.. والدول التي تعيش حالة حقيقية من الوئام والانسجام على صعيد الرؤية والخيارات بين السلطة والمجتمع، هي الدول المستقرة والقادرة على مواجهة كل التحديات والمخاطر

٢ وجود الثقة المتبادلة والرضا المتبادل بين السلطة والمجتمع. فالأنظمة التي لا تثق بشعبها أو الشعب الذي لا يثق بحكومته، فإنه مهدد بشكل حقيقي في أمنه واستقراره.. لأن الأمن الحقيقي والاستقرار العميق هو الذي يستند إلى حقيقة راسخة وهي توفر الثقة العميقة والمتبادلة بين السلطة والمجتمع. هذه الثقة هي التي تمنح القوة لكلا الطرفين. فقوة المجتمع في انسجامه السياسي مع نظامه السياسي، وقوة النظام السياسي في ثقة المجتمع به وبخياراته السياسية والاستراتيجية.. لذلك فإن الاستقرار السياسي يتطلب وبشكل دائم العمل على غرس بذور الثقة بين السلطة والمجتمع..

٣ توفر الحريات السياسية والثقافية.. فلو تأملنا في العديد من التجارب السياسية على هذا الصعيد، لاكتشفنا وبشكل لا لبس فيه أن الدول التي تتوفر فيها حريات وتمنح شعبها بعض الحقوق، هي الدول المستقرة والتي تتمكن من مواجهة التحديات والمخاطر.. أما الدول التي تمارس السياسة بعقلية الاستئصال والتوحش وتمنع شعبها من بعض حقوقه ومكتسباته السياسية فإنها دول مهددة في استقرارها وأمنها..

^{١١} المرجع نفسه.

^{١٢} محمد محفوظ، المرجع السابق.

وعلى الرغم من وجود تعريف نظري عام واضح ومحدد للاستقرار الداخلي إلا أن المعايير العملية لدراسة الاستقرار الداخلي لدولة ما، والمقاييس التي يمكن اعتمادها للحكم على الواقع الداخلي لهذه الدولة بأنه واقع مستقر أو لا، هي في الحقيقة معايير ومقاييس عديدة ومتشعبة ومتداخلة، تشير إلى مدى استقرار كل من المجتمع ومؤسسات الدولة واستقرار العلاقة بينهما، وهي معايير:^{١٣}

- اجتماعية: تتمثل بمستوى التعاون والاندماج الفعلي بين مختلف فئات المجتمع ضمن مؤسسات المجتمع المدني والمجتمعات السياسية والثقافية والاقتصادية.

- سياسية: كحسن تمثيل المؤسسات لمختلف فئات المجتمع، وإيجابية العلاقة بين هذه المؤسسات.

ويتأثر واقع الاستقرار في المجتمع بعوامل ثقافية وسياسية واقتصادية واجتماعية متداخلة ترتبط بالبنى الفكرية السائدة في المجتمع الثقافي وتطوير الوضع الاقتصادي، واستقرار النظام السياسي في الدولة، ومدى احترام مبدأ الفصل بين السلطات الثلاث، والتداول السلمي للسلطة، ودور المؤسسة العسكرية في الحياة السياسية: هل هي متدخلة فيها أم لا؟ وكيف يحدث هذا التدخل: هل هو على شكل ضغوط، أم يتخذ شكل انقلابات؟ وما هي ديمومة هذا التدخل: مؤقت أم طويل المدى؟.

مؤشرات الاستقرار السياسي:

وللاستقرار السياسي مجموعة من المؤشرات لا يختلف عليها الباحثون، ويمكن إجمالها كالتالي:^{١٤}

١- نمط انتقال السلطة في الدولة: تداول سلمي للسلطة ديمقراطياً، أم بالوراثة أم بالإنقلابات العسكرية. وقد عانت الدول النامية من ظاهرة الانقلابات العسكرية، ففي الفترة من عام ١٩٥٨ حتى عام ١٩٧٧ رُصد (١٥١) انقلاب أي بمعدل (٨) انقلابات سنوياً.

^{١٣} ZOUAVE P., 1998-La Resistance Stratejique, p8-14؛ في: شاهر اسماعيل الشاهر، الدولة في التحليل السياسي

المقارن، دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٥.

^{١٤} حاج سليمان، راند نايف (٢٠٠٩)، الاستقرار السياسي ومؤشراته، الحوار المتمدن، ٢١/٣/٢٠٠٩.

٢- المؤسساتية: كلما اقترب نظام الحكم في مجتمع ما إلى المؤسساتية، كان هذا مؤشراً للاستقرار السياسي، والعكس صحيح.

٣- شرعية النظام السياسي:

شرعية النظام السياسي من الدعائم الأساسية للاستقرار السياسي...^{١٥}

٤- قوة النظام السياسي ومقدرته على حماية المجتمع وسيادة الدولة.

٥- ومن معايير الاستقرار السياسي ازدياد فرص الانفتاح السياسي والديمقراطية المقترنين بالاعتدال في المواقف والسلوكيات، واتخاذ مواقف أقل تشدداً وتوتراً من قبل الأطراف السياسية والمدنية.

٦- محدودية التغيير في مناصب القيادات السياسية: المقصود بالقيادات السياسية في السلطة التنفيذية، بقاء القادة السياسيين على رأس أي نظام سياسي لفترة طويلة مؤشر للاستقرار السياسي، ولكن يجب أن يقترن ذلك برضا الشعب. ويعد التغيير المتلاحق في المناصب القيادية أحد مؤشرات عدم الاستقرار السياسي.^{١٦}

٧- الاستقرار البرلماني: إن البرلمان هو الممثل للشعب أو الأفراد في كل الأنظمة على اختلاف أنماطها (رئاسي، برلماني، مختلط) ولا يجوز للسلطة التنفيذية أو رأس الدولة حل البرلمان، على اعتبار أن شرعية البرلمان تأخذ من الشعب أو الأفراد وفق عملية الانتخاب. ولكن في بعض الأحيان تظهر صور لعدم الاستقرار بالنسبة للبرلمان تتمثل في:

٨- الديمقراطية وتدعيم المشاركة السياسية: تعد المشاركة السياسية أحد مقاييس الحكم على النظام بالاستقرار السياسي من حيث تطبيق قواعد الديمقراطية في الحكم، وهي الحالة التي يتوافر للأفراد فيها القنوات الرسمية للتعبير عن آرائهم في القضايا الوطنية واختيار النواب والممثلين في المجالس

^{١٥} فاضل الصفار، الحرية السياسية دراسة مقارنة في المعالم والضمانات، بيروت: دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٨، ص٢٤٤.

^{١٦} مصطفى عبد الجواد محمود، الأحزاب السياسية في النظام السياسي الدستوري الحديث والنظام الإسلامي، ط١، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٦، ص ٨٨.

النيابية والمحلية. بذلك تصبح المشاركة الشعبية وسيلة لتحقيق الاستقرار الداخلي وتدعيم شريعة السلطة السياسية.

٩- غياب العنف واختفاء الحروب الأهلية والحركات الانفصالية والتمردات:

يرى البعض أن الإضرابات والمظاهرات ضد السلطة القائمة هي نوع من عدم الاستقرار السياسي... إن العنف السياسي هو التعبير الرئيسي لعدم الاستقرار السياسي، أما اختفاء العنف السياسي فهو من المؤشرات الهامة على ظاهرة الاستقرار السياسي.

١٠- الوحدة الوطنية واختفاء الولاءات التحتية (الأولية):^{١٧}

إن المجتمعات التي لا تعرف ظاهرة التعدد سواء على المستوى العرقي أو الديني أو اللغوي أو الطائفي غالباً ما تكون أقرب إلى الاستقرار السياسي من تلك التي تعرف التعددية. العيب ليس في التعددية الاجتماعية وإنما في استراتيجيات النخب الحاكمة في التعامل مع هذه التعددية.

١١- نجاح السياسات الاقتصادية للنظام:

ينظر إلى الاستقرار الاقتصادي على أنه مؤشر عام من مؤشرات الاستقرار السياسي في كل المجتمعات، فعندما يكون النظام السياسي مستقراً، فإنه يوجه سياساته الاقتصادية نحو أهداف التنمية، وهذه السياسات التنموية التي ترفع مستوى المعيشة والرفاهية للأفراد، تخلت نوعاً من الطمأنينة والرضا الشعبي تجاه النظام السياسي.

مؤشرات عدم الاستقرار السياسي

إن زيادة مؤشر العنف السياسي من أهم المؤشرات الدالة على عدم الاستقرار السياسي، وعندما تزداد هذه المؤشرات بشك

^{١٧} نيفين عبد المنعم مسعد، الأقليات والاستقرار السياسي في الوطن العربي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.

ل كبير فإن الدولة تسير نحو عدم الاستقرار السياسي. وتتوقف درجة العنف السياسي على عدة عوامل، أهمها:^{١٨}

مجال العنف: أي درجة المشاركة في العنف السياسي داخل الدولة.

وحدة العنف: أي التلف والتخريب الناتج عن أعمال العنف.

استمرارية العنف: أي الزمن الذي تستغرقه عمليات العنف السياسي.

ويرى أحد الباحثين أن أهم مؤشرات الصراع الداخلي في الدولة والتي تساهم في عدم استقراره، هي:^{١٩}

١- عدد الاغتيالات السياسية داخل الدولة.

٢- عدد الإضرابات العامة.

٣- وجود حرب عصابات.

٤- عدد الأزمات الحكومية داخل البناء السياسي.

٥- عدد عمليات التطهير التي تتم في أجهزة الدولة.

٦- عدد أعمال الشعب داخل نظام الدولة.

٧- عدد الثورات التي نشبت داخل الدولة.

٨- عدد المظاهرات المعادية للحكومة.

٩- عدد القتلى الذين لقوا مصرعهم في كل صور العنف المحلي.

^{١٨} عبد العظيم محمود حنفي، ظاهرة عدم الاستقرار السياسي وأبعادها، الأهرام المسائي، ١٠/٩/٢٠١٣.

^{١٩} عبد الرحمن خليفة، أيديولوجية الصراع السياسي، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، ص ٢١١ - ٢١٢.

أما مؤشرات الصراع الخارجي والتي تساهم في عدم استقراره فهي:

- ١- عدد المظاهرات ضد السياسة الخارجية للدولة.
- ٢- عدد مرات الاحتجاج ضد السياسة الخارجية للدولة.
- ٣- عدد مرات العقوبات السلبية التي فرضت على الدولة.
- ٤- عدد الدول التي قطعت علاقاتها الدبلوماسية معها.
- ٥- عدد المرات التي تم فيها استدعاء سفراء الدولة أو طرد السفراء الأجانب منها.
- ٦- عدد المرات التي صدرت فيها تهديدات ضد الدولة.
- ٧- عدد المرات التي ألتجئ فيها للعمل العسكري كنوع من الحل للمعضلات التي تقابل الدولة خارجياً.
- ٨- عدد الحروب التي اشتركت فيها الدولة.
- ٩- عدد المرات التي تم فيها تحريك القوات العسكرية دون أن تصل إلى حد نشوب الحرب.
- ١٠- عدد الاتهامات التي وجهت للدولة.
- ١١- عدد القتلى في الصراعات الخارجية.

ومن مكونات الاستقرار السياسي في العالمين العربي والإسلامي:^{٢٠}

- ١ - وجود مصالحة حقيقية بين مشروع السلطة ومشروع المجتمع: بحيث أن كل طرف يقوم بدوره الطبيعي في عملية البناء والعمران.
- ٢- وجود الثقة المتبادلة والرضا المتبادل بين السلطة والمجتمع: فالأنظمة التي لا تتفق بشعبها أو الشعب الذي لا يثق بحكومته، فإنه مهدد بشكل حقيقي في أمنه واستقراره.. لأن الأمن الحقيقي

^{٢٠} محمد محفوظ، في معنى الاستقرار السياسي، صحيفة الرياض، العدد ١٣٨١٩، ٢٥ أبريل ٢٠٠٦.

والاستقرار العميق هو الذي يستند إلى حقيقة راسخة وهي توفر الثقة العميقة والمتبادلة بين السلطة والمجتمع.

٣ - توفر الحريات السياسية والثقافية.

كيف يستطيع الإعلام تعزيز الاستقرار السياسي؟

يعمل الإعلام على تعزيز الاستقرار السياسي من خلال عدة طرق، من أهمها:

١. من خلال الإسهام في بناء السلام عبر نشر ثقافة السلام ونشر قيم التسامح والتعايش السلمي - لا سيما في الدول العالية التنوع (مثل السودان).
٢. من خلال محاربة خطاب الكراهية
٣. محاربة التطرف والغلو.
٤. محاربة النعرات القبلية والاستقطاب الإثني/السياسي.
٥. تدعيم عملية التكامل القومي وتشكيل الهوية الوطنية الجامعة

نشر ثقافة السلام

نشر قيم التسامح وتعزيز السلام الاجتماعي والتعايش السلمي هي تعبير عن "سلوكيات" تتمثل في تعامل الأفراد مع بعضهم وتفاعل الجماعات في المجتمع. والسلوك هو تعبير مباشر عن الثقافة السائدة. إذن معالجة السلوك تعتمد بصورة أساسية على النظر في الثقافة التي هي جماع للمعايير والقيم والمعتقدات وأنماط السلوك.. فهي أيضاً تنطوي على المفاهيم وتشكيل المواقف (attitudes). وتشكل ثقافة السلام أحد المداخل والعوامل/الروافع المهمة في معالجة خطاب الكراهية. فعندما تتغير المفاهيم والمواقف وتنتشر ثقافة التسامح والتعايش السلمي ينتفي خطاب الكراهية، وانتفاء خطاب الكراهية أحد الدعامات الأساسية في بناء التعايش السلمي وتحقيق الاستقرار السياسي. يمكن القول أن الثقافة بمعناها الشامل (كما عرّفها عالم الاجتماع تايلور) تشكل ركناً أساسياً في أي مشروع اجتماعي لمعالجة الخلل في تعامل أفراد المجتمع مع بعضهم البعض - people-to-people approach؛ أو في حالة هزة في البناء الاجتماعي أو توتر اجتماعي. وتعتبر ظاهرة انتشار خطاب الكراهية إحدى تجليات العلل الاجتماعية الكبيرة التي يمكن أن تشكل الثقافة أحد أهم أدوات المعالجة في هذا السياق. فللتقافة دور محوري في حياة الناس نتجاهل أهميته كثيراً؛

"فديناميكية الثقافة تنبثق من تصورنا للثقافة في شكلها الفاعل والمؤثر في حياة الناس، وليس بوصفها مفهوم ينتهي عند حدود السياق والتصور والتخيل".^{٢١}

وقد ظهر مصطلح (ثقافة السلام) في نهاية القرن العشرين في أدبيات الأمم المتحدة واليونسكو. وشهد العقد الأخير من القرن العشرين اهتماماً كبيراً من اليونسكو والأمم المتحدة بأمر ثقافة السلام وصناعة السلام (peacemaking) وحراسة السلام (peace keeping). وفي مفهوم اليونسكو: "تتكون ثقافة السلام من القيم والمواقف، وطبيعة السلوك الإنساني التي تركز على عناصر عدم العنف وتحترم الحقوق الأساسية للإنسان وحرية الآخرين. ولقد تم تحديد هذه الحقوق في ميثاق حقوق الإنسان".^{٢٢}

لقد ذهبت اليونسكو إلى أن ثقافة السلام "كيان مكون من قيم، مواقف وسلوكيات مشتركة تركز على عدم العنف (non-violence)، واحترام الحقوق الأساسية للإنسان بالتفاهم والتسامح والتماسك، كل ذلك في إطار التعاون المشترك والمساهمة الكاملة للمرأة، واقتسام تدفق المعلومات". أي تمس هذه المصطلحات عدداً كبيراً من جوانب الحياة الإنسانية وثقافات الشعوب وسلوكها وقيمها التي اكتسبتها عبر التاريخ الطويل وممارستها الإنسانية العديدة. وتذهب اليونسكو في تحديدها لمصطلح ثقافة السلام إلى القول: "إن المفتاح إلى ثقافة السلام هو تحويل التنافس العنيف إلى تعاون في مجال تحقيق الأهداف". وترى اليونسكو "تستدعي ثقافة السلام أن تعمل كل المجموعات المتنافسة والمتصارعة في إطار التعاون لتطوير نفسها إلى الأحسن. وترى اليونسكو إمكانية تحقق مصطلح (ثقافة السلام) وازدهاره على أرض الواقع في حالات تقليص بيئة الحرب وإحلال بدائل إيجابية في محلها. ولتحقيق هذا الهدف الإنساني النبيل تنتظر منظمة اليونسكو إلى ثقافة السلام كمشروع شاسع متعدد الجوانب: عولمي الفضاء، لا بد له من أن يرتبط بالنواحي التالية: (١) التنمية والأمن الاقتصادي؛ (٢) الديمقراطية والأمن السياسي؛ (٣) نزع السلاح والأمن العسكري؛ (٤) الكفاءة والتفاعل الاقتصادي؛ (٥) تطوير التماسك الدولي".^{٢٣}

^{٢١} أبو القاسم قور حامد، الأصول الفكرية والاستراتيجية والتاريخية لثقافة السلام، مجلة دراسات الشرق الأوسط وأفريقيا (الخرطوم): مركز دراسات الشرق الأوسط وأفريقيا، العدد (١)، فبراير ٢٠٠٢، ص ٨٩.

^{٢٢} Culture of Peace, UNESCO Publishing, Printed in France, 1st edition, 1997, p. 16.
^{٢٣} المصدر نفسه.

إذن لا بد من توافر هذه المتطلبات لتعزيز ثقافة السلام. لأن التنمية والأمن بكافة جوانبه مهمة لتهيئة البيئة المواتية لنشر ثقافة السلام. فلا يمكن بدون تقديم الخدمات الأساسية للمواطنين وتوفير الحد الأدنى من الأمن والطمأنينة لا يمكن أن تنجح عملية غرس قيم السلام وثقافة السلام. فالكل يحاول أن يحمي نفسه باقتناء قطعة سلاح وينتشر العنف. والعنف والعنف المضاد أيضاً يولّد خطاب الكراهية خاصة في حالة غياب الصلح والمساءلة والعدالة الانتقالية (وتشكل حالة دارفور السودانية نموذجاً لانتشار خطاب الكراهية والعصبيات والتوترات السائدة كنتاج للحرب الطويلة التي عاشها الإقليم ولم تتم معالجة آثارها (حتى تاريخه). وهنا يتعاضد دور الإعلام في نشر ثقافة السلام كمدخل لا يمكن الاستغناء عنه في تحقيق الاستقرار السياسي.

وأشار البعض إلى وسائل نشر ثقافة السلام: "إنّ نشر ثقافة السّلام بين الناس يحتاج من الجميع توحيد الصفوف في مواجهة صنوف التطرف الفكري المتعدّدة؛ مثل: إقصاء الآخر، والدعوة إلى القتل، وما إلى ذلك، ويتمّ ذلك أولاً بتربية النشء على القيم الفاضلة والعظيمة، واستغلال التعليم في ذلك، ويجب تفعيل دور وسائل الإعلام المختلفة، والوسائل التقنية الحديثة، وشبكة الإنترنت، ووسائل التواصل الاجتماعيّ التي تغلغت في سائر نواحي الحياة المختلفة، والتي تُعدّ شديدة الصّلة بفئة الشباب؛ تلك الفئة الأكثر استهدافاً من قبل المتطرفين، وأصحاب الأفكار المنحرفة.^{٢٤}

من جانب آخر، ومن خلال وسائل الإعلام المختلفة فإنّ على قادة الرأي والعلماء من ذوي الاختصاص دعوة الناس إلى التقارب، وتوحيد الصفوف، وزيادة التلاحم الاجتماعيّ، فكلما تقارب الناس من بعضهم أكثر امتلكوا القدرة على مواجهة العنف، وتعاضمت محبتهم لبعضهم البعض، وهذا كلّه سيؤدي في نهاية المطاف إلى إحلال ثقافة السّلام. كما أنّ لنشر العلم والثقافة دور كبير في نشر ثقافة السّلام، فسيطرة مثل هذه الأمور على عقول الناس، تجعلهم أكثر جُوحاً نحو السّلام واللاعنف، وأكثر انفتاحاً على الآخرين.

نشر قيم التسامح

هنالك عدة تعريفات لمفردة "التسامح" باللغة الإنجليزية (tolerance) في القواميس المختلفة. ومن هذه المفردات التي يشملها المعنى في اللغة الانجليزية: (endurance, fortitude and stamina) وهي تعني "قدرة التحمّل، الثبات، والجَلْد" - على التوالي. وهناك مترادفات

^{٢٤} محمد مروان، مفهوم ثقافة السلام. ٢٠١٨، ٧، ٢٦. mawdoo3.com

(synonyms) لها مثل: forbearance, long-suffering, patience, and sufferance

وهي تعني: ضبط النفس، الصبر، والصبر على الأذى/مقاساة، على التوالي.²⁵
فالتسامح هو "القدرة على تحمل الألم والشدة أو الضيق والمشقة. وهي أيضاً تتطوي على معنى السماح "the act of allowing something" والمسامحة toleration وتحمل الإساءة. كما تعني أيضاً القدرة على التعايش مع شيء مؤلم/مؤذي أو مزعج/غير مريح، أو سيئ: "... ability to put up with something harmful, bad or annoying"²⁶

والتسامح في اللغة أصله: سَمَحَ، وهو مفهومٌ يعني العفو عند المقدرة؛ وعدم رد الإساءة بالإساءة؛ والترفع عن الصغائر؛ والسمو بالنفس إلى مرتبة أخلاقية عالية؛ "فهو مفهوم أخلاقي اجتماعي؛ دعا إليه كافة الرسل والأنبياء والمصلحين؛ لما له من أهمية كبرى في تحقيق وحدة وتماسك المجتمعات؛ والقضاء على الخلافات بين الأفراد والجماعات...". وكذلك التسامح يعني "احترام ثقافة وعقيدة وقيم الآخرين، وهو ركيزة أساسية للعدل والحريات الإنسانية العامة." قال تعالى: حُذِّ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ.

والتسامح يرتبط بالعفو، وهو أيضاً التصالح مع النفس ومع الآخرين هو العفو والتساهل وسعة الصدر ويعد من أعظم الفضائل الأخلاقية التي دعت إليها كل الأديان، فالتسامح صفة جميلة تدل على نقاء قلب صاحبها وقد شاد العديد من الشعراء بالتسامح في أبياتهم حيث يقول أحمد شوقي: تسامح النفس معنى عن مروءتها، بل المروءة في أسمى معانيها؛ تخلق الصفح تسعد في الحياة به فالنفس يسعدها خلق ويشقيها.²⁷

للتسامح دور مهم في بناء المجتمعات الإنسانية لأن التسامح من أسمى الأخلاق التي إذا امتاز بها الشخص أضافت إليه هالة مضيئة من الأخلاق الرفيعة ميزته عن باقي من حوله، فالتسامح من مكارم الأخلاق التي دعت إليها كافة الأديان السماوية، ويعتقد بعض الناس أن في التسامح ضعف ولكن على العكس فالمتسامح شخص قوي جداً، وأدرك معنى السلام الداخلي وسعى لهدوء

²⁵ Merriam-Webster.com Dictionary, Merriam-Webster, <https://www.merriam-webster.com/dictionary/tolerance>. & © 2021 Merriam-Webster, Incorporated. Accessed 21 Mar. 2021).

²⁶ Webster Dictionary, Ibid.

²⁷ خالد البوعينين، مفهوم التسامح، جريدة الشرق، 21/3/2021.

النفس واستطاع أن يكبح غضبه وسيطر على مشاعره السلبية تجاه الآخرين، واستطاع أن يهنا بحياته الاجتماعية بين الناس فسار محبوباً يتودد الجميع له للين قلبه وحُسن سلوكه معهم.^{٢٨}

والتسامح أنواع كثيرة منها التسامح الديني، والعرقى والفكري. التسامح هو التصالح مع النفس ومع الآخرين هو العفو والتساهل وسعة الصدر ويعد من أعظم الفضائل الأخلاقية التي دعا إليها كل الأديان، فالتسامح صفة جميلة تدل على نقاء قلب صاحبها وقد شاد العديد من الشعراء بالتسامح في أبياتهم حيث يقول أحمد شوقي : تسامح النفس معنى عن مروءتها، بل المروءة في أسمى معانيها تخلق الصفح تسعد في الحياة به فالنفس يسعدها خلق ويشقيها. كما يقول الشافعي : عاشر بمعروف وسامح من اعتدى ودافع ولكن بالتي هي أحسن.^{٢٩}

وهو الابتعاد عن الانفراد بالرأي والتعصب له واحترام آراء الآخرين والتأدب في محاورتهم. وقد أُجريت العديد من الدراسات والتجارب على مجموعة من الأشخاص المتسامحين وأثمرت تلك التجارب على نتيجة مبهرة، حيث وُجد أن الشخص المتسامح هو الأكثر سعادة والأقل عرضة لأمراض العصر الناتجة عن التعصب والانفعال كأمراض القلب وأمراض ضغط الدم وغيرها. كما وجد أثر التسامح في حياتهم الاجتماعية والنفسية، فبالتالي الشخص المتسامح هو الأكثر سعادة والأكثر إبداعاً والأقل مرضاً. ويعد المجتمع الذي يضم العديد من الأشخاص المتسامحين من أكثر المجتمعات ترابطاً في العلاقات وأكثر المجتمعات مودة.^{٣٠}

وهنا يتضح فضل التسامح على صاحبه فالتسامح يلين القلوب ويتقرب الناس للمتسامح حباً فيه وفيه صفاته الحميدة. كما جاءت الأحاديث النبوية لتؤكد على أهمية التسامح وقيمه بين الأفراد فقد ذكر الرسول الكريم فيه حديثه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: " كل هين لين قريب سهل". فالإنسان المتسامح الكريم حرم جسده على النار وذلك للين قلبه وسرعة عفوهِ. وجاء أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً " والحديث هنا يؤكد أنه كلما زاد الإنسان تسامحاً زادت مكانته بين القلوب وعلا شأنه

^{٢٨} عمانوئيل كانط، نقد العقل المحض، ترجمة موسى وهبة (بيروت: مركز الإنماء القومي، ١٩٨٨)، ص ٣١ - ٤٣ ؛ في: عبد الصمد زهور، في تقرير ما بين التسامح والمجتمع التراثي الإسلامي من اتصال، مجلة المستقبل العربي، العدد (٤٧٢)، حزيران/يونيو ٢٠١٨.

^{٢٩} ليلي جبريل، التسامح ودوره في بناء المجتمعات الإنسانية، موقع "ملزمتي"، ٢٠٢٠/٦/١٥

^{٣٠} المرجع نفسه.

ورضا الله عنه وزاد الناس حباً فيه . ومن هنا تتضح أهمية التسامح على الفرد والمكانة العالية التي خصّ بها الله التسامح.^{٣١}

على الرغم من دعوة الإسلام للتراحم بين المسلمين، والاهتمام بتوطيد علاقات بعضهم ببعض، إلا أن هذا لا يمنع من أن يكون للمسلم صديق أو رفيق أو جار من غير المسلمين، وقد عُرف عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان يزور غير المسلمين، ويقف إلى جانبهم إن مروا بضيق ولا يتوانى عن مساعدتهم. كما كان صلى الله عليه وسلم يزور مرضى النصارى واليهود، ولهذا نرى في التاريخ أن جميع الأفراد من جميع الأديان كانوا يعيشون في جو من المحبة والألفة في ظل دولة الإسلام، فليس هناك تعدي على حقوقهم أو إنقاص لشأنهم، بل كانوا يُعاملون بأحسن طريقة وكانت لهم الحرية بالتنقل والتجارة وغيرها من الأمور المعيشية التي يقوم بها كل إنسان. لا يمكن الإنكار بأن الإسلام هو دين التعايش الذي أوجد حلاً لكل مشكلة تخص المسلمين أو غير المسلمين، فعلى سبيل المثال، لم يكن هناك أي قانون للميراث في أيّ من الكتب السماوية التي سبقت القرآن الكريم، وجاء القرآن ليحدد طريقة توزيع التركة من بعد المتوفي، وهو ما جعل الأشخاص من غير المسلمين السير على ما وضعه الإسلام من تشريعات بخصوص الميراث.

وقد عاد الحديث عن التسامح اليوم في العالم الإسلامي بعد أن ساد خطاب الكراهية وانتشر الغلو والتطرف والعنف والإرهاب. بينما تعود فكرة التسامح إلى أكثر من ثلاثة قرون في أوروبا منذ أن نشر الفيلسوف (جون لوك) "رسالته الشهيرة حول التسامح عام ١٨٦٩، ثم أصدر فولتير عام ١٧٦٣ كتاباً دعا فيه إلى أخلاقية التسامح، ولا سيما القائمة على التسامح الديني بين الشعوب والأمم المتعايشة مع الغرب." بالإضافة إلى فولتير هنالك أيضاً مجايي لوك الذين "بشروا بقيم التسامح الديني مثل بيير باييل وغروثشيوس وسبينوزا ... فكانوا جميعاً قد نظروا إليه بوصفه مسألة أقرب إلى فريضة دينية وليس إقراراً بالآخر كنوع من التعددية الثقافية..."^{٣٢}

بينما تسود وطننا العربي/الإسلامي موجة من عدم التسامح نجد أن العالم اليوم يسعى إلى "توسيع التسامح حقوقياً بعد أن جرى تعميمه أخلاقياً؛ في حين أن الدين الإسلامي يوفر لنا كل قيم التسامح وأخلاقياته ومحفظاته. فقد جرى إغفال لمثل هذه المحركات الدينية الأصيلة لذلك تصبح

^{٣١} المرجع نفسه.

^{٣٢} عبد الحسين شعبان، في الحاجة إلى التسامح: ثقافة القطيعة والتواصل، مجلة المستقبل العربي، العدد (٤١١)، أيار/مايو ٢٠١٣،

صفحة ١١٢.

الحاجة ماسة لنشر وتعزيز قيم التسامح لتصبح ثقافة سائدة. وهذه أكبر مأساة - أن تتوفر لنا لدينا مبادئ جامعة ومشاركات قوة (نظرياً) بينما نظل في الواقع نبحث التسامح في القوانين الوضعية وعند نماذج غريبة لا تخلو من خلل يتبدى باستمرار في تفكك اجتماعي وانهايار أخلاقي لا تخطأه العين.^{٣٣}

لا شك في أن علينا الاعتراف باليون الشاسع بيننا والغرب، وهو وإن كانت نظرتة استعلائية وفوقية إزاء "الآخر" لا سيما إزاء شعوب وأمم العالم الثالث - ومن بينها العالم العربي/الإسلامي - إلا أنه على "صعيد الداخل والمواطنة وحقوق الإنسان، فهو لديه قوانين وأنظمة ومؤسسات تستند إلى قيم التسامح التي ترتقي بها إلى مصاف قواعد قانونية واجتماعية وسلوكية وأخلاقية، حتى وإن وجدت بعض الممارسات من بعض الاتجاهات المتعصبة والمتطرفة ذات النزعات العنصرية والفاشية في حين أننا لا نزال حتى الآن بعيدين عن قيم التسامح ومبادئه." وإذا كانت ما تزال هنالك بيئة مضادة للتسامح خصبة على مستوى العالم - "من مظاهرها العنف والإرهاب وكراهية الأجانب والنزعات الاستعلائية العنصرية العدوانية، ومعاداة السامية، والتهميش والإقصاء والتمييز ضد الهويات الفرعية، الوطنية والدينية والإثنية واللغوية والسلالية واللجئيين والعمال المهاجرين، والفئات الضعيفة في المجتمع، والتجاوز على حرية التعبير، فإن ذلك يحتاج إلى جهود كبرى في كل بلد ومجتمع وعلى المستوى العالمي لبذر فكرة التسامح ورعايتها وتأمين إزدهارها قانونياً، ناهيك عن احترامها أخلاقياً واجتماعياً، وإقرار العمل بموجبها ثقافياً باحترام التنوع والتعدد."^{٣٤}

في هذا السياق يقترح أحد الباحثين توافر ظروف موضوعية وذاتية لنشر وتعزيز ثقافة التسامح في ظل ما آلت إليه أوضاعنا من عنف وكراهية وإرهاب لا سيما مع انتشار التعصب والتطرف:^{٣٥}

١. بيئة سلمية ولا عنفية: مناسبة ينمو فيها ويتزدهر الاعتراف بالآخر، وحقه في العيش بسلام ومن دون خوف، وضمان حقوقه كاملة على أساس المساواة والمشارك الإيجابي، وهذه البيئة تتطلب رافعات أساسية للتسامح أهمها: (أ) وجود قوانين وأنظمة (تشريعية) تعتمد مبادئ المواطنة الكاملة والمساواة التامة والحق في الاختلاف وإقرار التنوع والتعددية؛ (ب) وجود قضاء مستقل ونزيه لتطبيق القانون وحماية الحقوق والحريات...؛ (ج) وضع مناهج تربوية وتعليمية تقوم على المساواة وعدم التمييز...؛ (د) توفير بيئة إعلامية تتيح حرية التعبير ونشر قيم التسامح

^{٣٣} المرجع نفسه.

^{٣٤} عبد الحسين شعبان، المرجع السابق، ص ١١٨.

^{٣٥} المرجع نفسه، ص ص ١١٨ - ١٢١.

والتعايش وعدم التمييز، فالإعلام سلاح ذو حدين ...؛ (هـ) خلق بيئة اجتماعية ومجتمعية من خلال منظمات مستقلة للمجتمع المدني تساهم في تعزيز التعايش والمشارك الإلهاني وتقوم برصد ورقابة الممارسات غير المتسامحة حكومياً ومجتمعيأً، وتكون شريكاً برسم السياسة العامة.^{٣٦}

٢. التوصل إلى فهم مشترك لفكرة التسامح، وهذا يقوم على تنزيه مبادئ التسامح عن الفكرة الساذجة حول تعارضها مع مبادئ العدالة وتصويرها وكأنها تعني غض الطرف عن الانتهاكات لحقوق الإنسان ...

٣. الاعتراف بحقوق الغير ومعاناة الفئات المستضعفة ... إنصاف أفراد وجماعات وطوائف وأقليات ... تعرضت لانتهاكات واستباحات وأعمال إبادة باسم الدين أو القومية أو الطائفة أو المذهب ...

فهنا دور محوري ورئيس للإعلام في نشر قيم التسامح ليرفد عملية بناء السلام والتعايش السلمي ونبذ خطاب الكراهية والتطرف والعنف وكلها تشكل مدخلات مهمة في تعزيز الاستقرار السياسي. لا شك إن أوضاع حقوق الإنسان في الوطن العربي والعالم الإسلامي تعاني الكثير من العيوب والانتقاصات من حيث الانتهاكات وشح الحريات المدنية والسياسية وقضايا المرأة ومسألة الأقليات ونحو ذلك. وهذا الأمر يقتضي مراجعات عميقة وصريحة وأمينة من قبل النخب العربية والفقهاء الإسلامي. فاجتهد البعض في تقديم بعض الأطروحات لمعالجة التشوهات والخلل في ميدان حقوق الإنسان ونشر ثقافة التسامح والتعايش. ولذلك يجب الإقرار بهذه السلبيات والاعتراف بها كأول خطوة في طريق طويل للمعالجة الجذرية والشاملة ليصبح التسامح ثقافة وسلوك طبيعي في مجتمعنا على مستوى الشعوب والنخب.

في ما يخص خلق بيئة التسامح هنالك من يرى ضرورة تحييد الدولة من خلال الدولة غير المتمذهبة، لأنها "ليست حيزاً صالحاً لممارسة التسامح الحقيقي ... ويجب أن تكون المواطنة هوية جامعة عابرة للهويات الدينية". فالتسامح ضرورة لعالمنا العربي والإسلامي الذي يتسم بتعددية دينية ولغوية يستلزم الاعتراف المتبادل بين اللغات والقوميات المختلفة على أن يتم النص على ذلك في الدساتير والقوانين ونظم التربية والتعليم مع مراعاته في الإعلام وفي الخطاب السياسي.

^{٣٦} المرجع نفسه، ص ١٢١.

محاورة خطاب الكراهية:

الخطاب هو اللغة والشكل والأسلوب الذي يجسد روح المضمون ويعبر عن جوهر الفكر. فالفكر بدون خطاب واضح ومتسق يكون أقرب للشمول والعمومية. أي يمكن النظر للخطاب باعتباره التنزيل الواقعي للمثاليات المجردة. ويجعل البعض للخطاب قيمة ديناميكية باعتباره برنامج العمل الجماهيري لرمز فكري أو لتيار أو حزب معين.

الخطاب مصطلح أقدر على التعبير عن الخصوصية الذاتية والأيدولوجية. ويمكن تشبيه الخطاب بأنه مثل الإخراج في العمل الدرامي، أو التقديم (presentation)، أو أسلوب الطرح. فهو عنصر مهم جداً مكملاً لجوهر الفكر. لذلك يمكن أن نقول فكرة رغم قوتها وأصالتها بسبب سوء الطرح أو ضعف الخطاب.^{٣٧}

فالخطاب السياسي، مثلاً، هو التعبير الأيدولوجي لجماعة ما أو لتيار أو فكر في مرحلة تاريخية سياسية معينة وذلك استجابة لتحديات ضاغطة. والخطاب الإعلامي أو الإتصالي لا يمكن عزله عن الخطاب السياسي. بل يمكن الحديث عن علاقة جدلية بينهما. وقد انعكس ذلك في ظهور فرع من المعرفة في مجال السوسيولوجيا وعلم الاجتماع السياسي يُسمى "الإتصال السياسي" (political communication). وهو حقل تتجلى فيه المنهاجية المتداخلة (inter-disciplinary approach) بصورة واضحة؛ حيث يلتقي - أو يتداخل - علم الاجتماع مع علم النفس الاجتماعي وعلم الاجتماع السياسي والعلوم السياسية والإعلام... وهو مجال أتاح الدراسة العلمية المتعمقة لعدة قضايا وموضوعات مثل التنشئة السياسية (political socialization) والرأي العام وغرس القيم (value inculcation) وإعادة توجيه القيم (value re-orientation) ونشر المذاهب (indoctrination) والخطاب السياسي من حيث اللغة والمضمون والمصدر والجمهور المستهدف والدور السياسي للإعلام مثل ترتيب الأولويات (agenda setting) وعمليات غسل الأدمغة واستخدام الرموز والتمويه والدعاية ورسم الصورة الذهنية (image) وتشكيل الرأي العام والإقناع السياسي وتفعيل المشاركة السياسية.

تحتاج المؤسسات السياسية إلى الخطاب الإعلامي لإنجاز خمس وظائف أساسية: "التوحيد، واضفاء الشرعية، التوجيه، حل الصراعات، وتنفيذ السياسات." فالخطاب الإعلامي إذا كان متسقاً

^{٣٧} عبده مختار موسى، "الخطاب الإعلامي الإسلامي في عصر العولمة"، في: الخطاب الإسلامي المعاصر: دعوة للتقويم وإعادة النظر"، مركز البحوث والدراسات، الدوحة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ذو الحجة ١٤٢٦هـ، يناير ٢٠٠٦م)، ص ٦١٧.

مع المبادئ والأهداف يمكن أن يساعد على توحيد الرؤى وبلورة الرأي العام حول قضية ما - أو توحيد الرأي - وبالتالي يضفي نوعاً من الشرعية على القضية أو التوجه. ويمكن أن يساهم بعقلانية الطرح في إزالة التوتر وحل الصراعات ويمكن أن يمهد لتنفيذ السياسات.

خطاب الكراهية:

من آليات تعزيز الاستقرار التي يمكن أن يركز الإعلام عليها هي معالجة المفاهيم والجماعات والحركات المتطرفة. وهي جماعات تتسم بالغلو والتطرف. وقد أصبحت واحدة من أخطر مهددات الاستقرار السياسي والاجتماعي في كثير من الدول وارتبطت بالإرهاب. من أكبر وأصعب التحديات التي تواجه المجتمعات في العصر الحديث في سياق "محرقات" خطاب الكراهية والعنف والإرهاب، هي ظاهرة الغلو والتطرف والفكر التكفيري والسلفية الجهادية (militant Salafists) وغيرها من التيارات والجماعات الحاضرة والناقلة لها.

الغلو: لغة: غلا، يَغْلُو. مصدر غُلُوٌّ، غلاءً، فهو غالٍ وجمعة غُلَاةٌ، وغلا السعر زاد وإرتفع، غلا في أمره جاوز الحد [معجم المعاني الجامع]. قال الجوهري [غلا في الأمر يغلو غلوا، اي جاوز فيه الحد] قال ابن منظور، (أصل الغلاء: الإرتفاع ومجاوزة القدر في كل شيء، يقال غاليت صدق المرأة أي أغليته). إذن الغلو في اللغة مجاوزة الحد، فكل من جاوز الحد فهو غالٍ.

والغلو في الدين أي المغالاة والمشقة وتحميل النفس ما لا تطيق. وهو تجاوز الحد الشرعي بالزيادة اعتقاداً أو عملاً عما جاءت به الشريعة، سواء في الاعتقاد أم في العمل. ويقول د. بدر بن ناصر: الغلو اصطلاحاً: الزيادة ومجاوزة الحد الشرعي الواجب:^{٣٨}

والغلو على نوعين: (١) غلو اعتقادي مثل الغلو في الأنبياء والصالحين ومنحهم حق الله. وكالتكفير بغير برهان ولا دليل شرعي؛ و (٢) غلو عملي وهو الزيادة في العبادة عن الحد الذي وضعه الشرع، مثل الذي يصوم ولا يفطر، ويقوم الليل ولا ينام، ومثل من لا يتزوج النساء ادعاءً للتقوى. وكلاهما خطر على الأمة ووحدتها، فالأول يؤدي للتكفير والثاني لتفريق الأمة وإيجاد الفرق المتعددة والضالة للطريق.

^{٣٨} البدر: بدر بن ناصر، الارهاب، ٢٠٠٥م الطبعة الأولى، فهرست مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض

ولفهم الغلو فإن الطرف الثاني له هو الجفاء والتفريط وكلاهما على طرفي نقيض، وجاء في كتاب الله {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ} (النساء ١٧١).

والغلو في اصطلاحنا ومبحثنا يعني الجانب الفكري والاعتقادي والعمل على المستوى الشخصي في النفس ولا يعني العمل ضد الآخر.

التطرف: التطرف آخر الشيء، تطرفت الشمس دنت إلى الغروب، تطرف الشارع أي مال إلى آخره، تطرفت الماشية المرعى صارت في أطرافه وجوانبه، وبين الطرفين الوسط والعدل والاعتدال، والتطرف المغالاة السياسية والدينية والمذهبية والفكرية (معجم المعاني الجامع).

وفي لسان العرب (رجل طرفٌ ومتطرفٌ ومستطرفٌ: لا يثبت على أمر) وفي المعجم الوسيط (تطرف في كذا: تجاوز حد الاعتدال ولم يتوسط) (طرف الشيء إما أن يكون ابتداءه أو نهايته، ويبعد أن يكون ما قرب من الوسط طرفاً) قال الجصاص أحكام القرآن ٢٥٠/٣ والتطرف شيء عملي على الآخر مثل التشدد في الأحكام على الآخرين وأخذ آيات ومنهما فوق طاقتها لتجاوز معاني وآيات أخرى في كتاب الله أو تعطيلها بسبب تجاوز المعاني الكلية للدين من تفسيره لبعض الآيات التي تستهويه وتقع في مراده وهواه.

وقد عرفه د. راشد المبارك "الشطط في فهم مذهب أو معتقد أو فلسفة أو فكر، والغلو والتعصب لذلك الفهم، وتحويله إلى حاكم لسلوك الفرد أو الجماعة التي تتصف به، والاندفاع إلى محاولة فرض هذا الفهم والتوجه على الآخر بكل الوسائل ومنها العنف والإكراه".^{٣٩}

ونعرف التطرف في هذه الدراسة "بمعنى المغالاة والشطط في تطبيق المفاهيم المغالي فيها على الآخرين كالإرهاب والحكم على الآخرين بالكفر وممارسة الأحكام التي توصل إليها دون ضابط أي أنها الوجه العملي للغو". وقد أوردت الشريعة الإسلامية وكتب الفقه والفكر الإسلامي ومعاجم اللغة العديد من المترادفات لكلمة الغلو والتطرف، مثل التنطع والتشدد والتعسير والبغي والإفساد والعنف والإرهاب والإكراه.

^{٣٩} عثمان كرار محمد خليل، أير الغلو والتطرف على الأمن الإقليمي في منطقة الشرق الأوسط: دراسة حالة القاعدة وداعش (١٩٧٩ -

٢٠١٦). رسالة دكتوراة في العلوم السياسية، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، الخرطوم: جامعة أم درمان الإسلامية، ٢٠٢١، ص

٦. المرجع نفسه

وقد استطاعت كلمة الإرهاب أن تجد مكاناً مرموقاً في الفكر بصفة عامة والفكر السياسي بصفة خاصة كما وجدت لها مكاناً لدى أجهزة الإعلام والعامة مما جعل الاتفاقيات والقوانين تنص على كلمة الإرهاب، وعمل الجميع على أن يجد لها اصطلاحاً يتفق عليه، وأصبحت الكلمة السياسية والقانونية والاجتماعية والإعلامية لمخرجات الغلو والتطرف.^{٤٠}

تنطلق الجماعات المتطرفة عند المسلمين من نفس مصادر بقية الأمة من كتاب الله وسنة رسوله، إلا أنها تختلف مع بقية الأمة في تفسيرها لهذه النصوص ومدلولاتها وأحكامها وقد ظهرت بعض الفرق منذ عهد الخلفاء كالخوارج والشيعة ثم بعدهم ظهرت فرق أخرى مثل [القدرية والمعتزلة والمرجئة والجهمية والصوفية].^(٤١) ويلاحظ أن الخوارج والشيعة كانت أهم نقاط خروجهم عن بقية الأمة واختلافهم معها في جوانب الحاكمية والسياسة الشرعية، وخالفوا وعصوا أمراء الأمة الذين ارتضت بهم أغلبية الأمة، فقاتلوهم ونازعوهم الأمر.^{٤٢} استمرت ظاهرة الغلو والتطرف عبر مختلف الحقب منذ الدولة الإسلامية الأولى حتى وصل إلى التطرف في وقتنا المعاصر والذي تحول إلى تنظيمات إرهابية تستخدم التقنيات الحديثة في الإعلام والأسلحة المتطورة والتفجيرات الانتحارية وتستغل إعلام العولمة في تجنيد الشباب.

ومن السمات الفكرية الخطرة المهددة للسلم الاجتماعي أنهم يأصلون لاستحلال أموال الناس والحكومات يقول أيمن الظواهري في كتاب اللقاء المفتوح مع الظواهري "أما عن تحليل أموال المصارف فإذا كانت هذه المصارف حكومية، فغنيمة أموالها جزء من الحرب على الحكومة، وليست المصارف فقط، بل كل موارد الدولة يحق للمجاهدين غنيمتها أو حرمان الحكومة منها، لأن المال عصبُ الحرب"^{٤٣}.

وقد تمت دراسات في مجال الأبعاد النفسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية وغيرها لا يسع لها المجال. لكن في الجانب النفسي - مثلاً - لوحظ في أفراد هذه الجماعات - جماعات الغلو والتطرف والتكفير دلالات تشير إلى الانحراف الفكري وقابلية الشخص للانحراف، وكذلك الانطوائية

^{٤٠} عثمان كرار، المرجع السابق.

^{٤١} علي عبدالعزيز بن علي الشبل، الطبعة الأولى، ص ١٢؛ في: عثمان كرار، المرجع السابق، ص ٧٤.

^{٤٢} عثمان كرار، المرجع السابق، ص ٧٤.

^{٤٣} المصدر نفسه، ص ١٣٨

والتوتر والقلق والخوف وعصبية المزاج والاكتئاب وغيرها. وهذه تحتاج لدراسات مكثفة وعلمية عميقة تشارك فيها كل الدول الإسلامية مع خطة مشتركة للتحرك للقضاء على هذه الظاهرة. وأحسب أن الحوار الفكري وتوعية الشباب^{٤٤} هي أفضل وسيلة لتحسينهم من الانضمام لهذه الجماعات. وتظل مثل هذه التيارات مصدر لإثارة التوتر والكراهية وزعزعة الاستقرار في المجتمعات وتشويه صورة الإسلام والمسلمين.

محاربة النعرات القبلية والخطاب العنصري:

ويتضمن محاربة خطاب الكراهية محاربة النعرات العنصرية ومعالجة الخطاب الذي يثير القبلية والجهوية ويثير الفتن - سواء كان مصدرها النعرات العنصرية أو الطائفية أو المذهبية، أو الاستقطاب السياسي/الإثني الذي يؤدي إلى انقسام مجتمعي حاد - كما هو واضح في الحالة السودانية. فالتدخل الحكومي بالسياسات *policy intervention* ونوع الخطاب السياسي، وموقف الحكومة بين الأطراف المتنازعة - حياد أو عدمه - وتسييس الصراع، وطبيعة التداول الإعلامي (الخطاب الإعلامي ونوعية التغطية) كلها - بالتضافر مع أسباب أخرى - تغذي حالة عدم الاستقرار السياسي.

وقد اعتبرت بعض الإثنيات في دارفور أن تدخل حكومة الفريق عمر البشير في الصراع لم يكن محايداً. كما أن غياب الإدارة الأهلية في صورتها القديمة من حيث المشروعية والقبول والكفاءة في هذا المناخ مع تدهور الأوضاع الاقتصادية أدى إلى ظهور مجموعات أصبحت تستثمر في النزاعات إما لكسب سياسي حزبي أو انتخابي أو من خلال بيع السلاح. وبالتالي فهي تسعى بالفتنة بين القبائل لاستمرار الصراع لتستمر مصالحها. على الإعلام كشف هذه الحقائق وتبوير الرأي العام بها حتى يشارك المواطن بوعي في وأد الفتن في مظانها.

^{٤٤} في السودان التحق عدد (١٧) طالب (من الجنسين) من طلبة جامعة العلوم الطبية والتكنولوجية بتنظيم الدولة الإسلامية (داعش) حيث غادروا عبر مطار الخرطوم الأمر الذي تسبب في صدمة لذويهم وللمجتمع السوداني بصورة عامة. وقد ثبت أنهم قد تم تجنيدهم عن مواقع التواصل الاجتماعي خاصة الفيسبوك. أنظر: صحيفة الانتباهة، الخرطوم: ٢٠١٥/٨/١٦.

نتج عن هذا التدخل السياسي الخاطئ أن حدث تسييس للقبيلة في المناطق الريفية، كما أن تصاعد الصراع القبلي المسلح وتقاطعه مع الحرب بين الحركات المسلحة والحكومة السودانية في دارفور خاصة بين ٢٠٠٣ - ٢٠٠٦ زاد من تعقيد الأزمة. حيث حدث استقطاب سياسي وتوظيف لهذا الصراع القبلي في مختلف الاتجاهات.

هنا تزداد أهمية الإعلام في تجفيف منابع الفتن وخطاب الكراهية والتطرف والنعرات القبلية والعنصرية وذلك من خلال الاسهام في بث روح الانتماء للوطن ونبذ النعرات القبلية والولاءات الضيقة وإظهارها بأن من التخلف والعصبية والجاهلية والتي حاربها الإسلام؛ وأنها أيضاً "فتنة" والفتنة أشد من القتل وتعتبر من أنواع الفساد في الأرض. يجب التنوير الإعلامي بهذه الأبعاد التي تتسبب في عوامل زعزعة الاستقرار السياسي والأمني والسلام الاجتماعي.

الخاتمة:

لكن بصورة عامة لن يتحقق دور للإعلام في الاستقرار السياسي بصورة فاعلة إلا في نظام ديمقراطي. إذن لا استقرار حقيقي إلا بديمقراطية حقيقية وتنمية مستدامة.. لذلك فإن الخطوة الأولى والاستراتيجية في مشروع مواجهة تحديات المرحلة ومخاطرها المتعددة هي بناء أمننا واستقرارنا على أسس ومبادئ حقيقية.

الدور الإيجابي للإعلام في الاستقرار السياسي يمكن أن يتم بصورة أفضل من خلال المعالجة الإعلامية للعوامل التي تؤدي إلى عدم الاستقرار. ولإسهام الإعلام في تعزيز الاستقرار السياسي هي يجب أن يركز في نشر ثقافة السلام والتعايش السلمي ونشر قيم التسامح لتصبح ثقافة سائدة، ومحاربة خطاب الكراهية، والغلو والتطرف. وهذا التطرف لا يمكن معالجته بالقوى التقليدية بل بالقوة الناعمة - الفكرية والإعلامية. غير أن الخطاب الإعلامي ليس وحده الذي يحتاج لمعالجة لتعزيز الاستقرار السياسي إذ لا بد من أن يدعمه خطاب سياسي رشيد من قيادة حكيمة تعزز قيم التسامح والوسطية والاعتدال.

إذا نجح الإعلام في تنوير الرأي العام بمخاطر الولاءات الضيقة والعصبويات التقليدية والنعرات العنصرية بحسبانها فتنة وفساد في الأرض فإنه سوف يسهم في تحقيق بناء السلام ويعزز الاستقرار. كما أن وسائل الإعلام إذا ما نجحت في نقل المواطن من الولاءات العشائرية/القبلية

المتعصبة إلى الانتماءات الأكبر والحديثة والولاء للوطن فإنها سوف تسهم في عملية التكامل القومي national integration وتعزيز عملية تشكيل الهوية الوطنية الجامعة وتقضي على تلك العوامل التي تعمل على ترسيخ الولاءات الضيقة والهويات الفرعية أو دون الوطنية.

إذاً يمكن أن توصي الورقة بالاهتمام بأهمية الإعلام وإدراك قوة تأثيره، وأن يتم توظيف الإعلام إيجابياً من خلال مناخ سياسي منفتح وحرية صحفية كاملة - بعيداً عن التعنيم والتضليل وحجب المعلومات والسنسرة وغيرها من الوسائل السلطوية التي تؤدي إلى انتاج مناخ موات للشائعات وهروب المتلقي إلى وسائل أخرى لتلقي المعلومة وهي قد تكون وسائل غير مأمونة وغير موثوقة لا سيما في عصر يتسم بسطوة وسائط التواصل الاجتماعي ذات التأثير غير المحدود.

المراجع:

- أبو القاسم قور حامد، الأصول الفكرية والاستراتيجية والتاريخية لثقافة السلام، مجلة دراسات الشرق الأوسط وأفريقيا (الخرطوم: مركز دراسات الشرق الأوسط وأفريقيا، العدد (١)، فبراير ٢٠٠٢)
- بدر بن ناصر، الارهاب، فهرست مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٥.
- بول فندي، من يجرؤ على الكلام، بيروت، ١٩٨٦
- جيهان احمد رشتي نظم الاتصال : الإعلام في الدولة النامية، (القاهرة : دار الفكر العربي، ١٩٧٢،).
- حاج سليمان، رائد نايف، الاستقرار السياسي ومؤشراته، الحوار المتمدن، ٢٠٠٩/٣/٢١.
- خالد البوعينين، مفهوم التسامح، جريدة الشرق، ٢٠٢١/٣/٢١.
- شاهر اسماعيل الشاهر، الدولة في التحليل السياسي المقارن، دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٥.
- عبد الرحمن خليفة، أيديولوجية الصراع السياسي، القاهرة، دار المعرفة الجامعية
- عبد العظيم محمود حنفي، ظاهرة عدم الاستقرار السياسي وأبعادها، الأهرام المسائي، ٢٠١٣/٩/١٠.

- عبد الحسين شعبان، في الحاجة إلى التسامح: ثقافة القطيعة والتواصل، مجلة المستقبل العربي، العدد (٤١١)، أيار/مايو ٢٠١٣.
- عبد الصمد زهور، في تقرير ما بين التسامح والمجتمع التراثي الإسلامي من اتصال، مجلة المستقبل العربي، العدد (٤٧٢)، حزيران/يونيو ٢٠١٨.
- عبده مختار موسى، "الخطاب الإعلامي الإسلامي في عصر العولمة"، في: الخطاب الإسلامي المعاصر: دعوة للتقويم وإعادة النظر"، مركز البحوث والدراسات، الدوحة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ذو الحجة ١٤٢٦هـ، يناير ٢٠٠٦م)
- عثمان كرار محمد خليل، أير الغلو والتطرف على الأمن الإقليمي في منطقة الشرق الأوسط: دراسة حالة القاعدة وداعش (١٩٧٩ - ٢٠١٦). رسالة دكتوراة في العلوم السياسية، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، الخرطوم: جامعة أم درمان الإسلامية، ٢٠٢١
- عمانوئيل كانط، نقد العقل المحض، ترجمة موسى وهبة (بيروت: مركز الإنماء القومي، ١٩٨٨).
- فاضل الصفار، الحرية السياسية دراسة مقارنة في المعالم والضمانات، بيروت: دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر، ٢٠٠٨
- مصطفى عبد الجواد محمود، الأحزاب السياسية في النظام السياسي الدستوري الحديث والنظام الإسلامي، ط١، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٦.
- محمد محفوظ، في معنى الاستقرار السياسي، صحيفة الرياض، العدد ١٣٨١٩، ٢٥ أبريل ٢٠٠٦.
- نيفين عبد المنعم مسعد، الأقليات والاستقرار السياسي في الوطن العربي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.

المصادر الإنجليزية

- Abdu Mukhtar Musa, The impact of State on the Press: The Political Role of *Sudanow* Magazine Under the Rule of General Numairi, 1969 – 1985 (an unpublished Ph.D. dissertation, Department of Political Science, University of Khartoum, Khartoum, 2005).
- Abdu Mukhtar Musa, The Coverage of the Gulf War in the Western Media: A Survey Method on the US Newsweek - A Content Analysis Approach (A Master Thesis in Political Science, Department of Political Science, University of Khartoum, 1995).
- Albert C. Gunther, Biased Press or Biased Public, *Public Opinion Quarterly*, Vol. 56, No. 2, 1992.
- *Canadian Journal of Media Studies*, Vol. 2(1).
- Culture of Peace, UNESCO Publishing, Printed in France, 1st edition, 1997, p. 16.

- Merriam-Webster.com Dictionary, Merriam-Webster, <https://www.merriam-webster.com/dictionary/tolerance>. & © 2021 Merriam-Webster, Incorporated

الانترنت:

<https://www.alriyadh.com/file/266>

<https://www.alriyadh.com/file/266>

<https://www.merriam-webster.com/dictionary/tolerance>

ليلى جبريل، التسامح ودوره في بناء المجتمعات الإنسانية، موقع "ملزمتي"، ٢٠٢٠/٦/١٥